ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

المقاومة المغربية للاحتلال الفرنسي: بين قوة الإرادة وضعف الإمكانيات

أ قاسم الحادك*

Abstract: This study seeks to determine the subjective and objective factors which controlled the activity of the Moroccan resistance movements and made their resistance local, isolated disorganized and with limited effectiveness. Despite their violent resistance adopted against the French military forces, the large losses they caused them and forcing the French army leadership to change and modify its military plans and strategies, and their resort to the use of sophisticated military means and lethal weapons, and thereby their success to delay the colonial project for controlling Morocco and subjecting its tribes, taking advantages of the geographical and climate conditions, the means of combat and the religious enthusiasm, the Moroccan resistance movements failed to form a large-size resistance and lead a total liberal war, they did not succeed in creating a decisive change to their benefits for reasons related to the clear shortage of armament and logistics, the absence of coordination and lack of military organization and expertise.

مقدمة: رغم الصمود الكبير الذي أبدته حركات المقاومة المغربية والمقاومة العنيفة التي تبنتها ضد قوات الاحتلال، والخسائر المهمة التي ألحقتها بها وإرغامها القيادة العسكرية الفرنسية على تغيير وتعديل خططها واستراتيجياتها العسكرية، واللجوء إلى استعمال وسائل حربية متطورة وأسلحة حديثة وفتاكة، وبالتالي نجاحها في تأخير المشروع الاستعماري للسيطرة على المغرب وإخضاع قبائله، فإن حركات المقاومة فشلت في المقابل في تشكيل حركة مقاومة ذات حجم كبير وقيادة حرب تحررية شاملة كما هو الشأن بالنسبة للحركة الريفية، وافتقرت إلى الإشعاع والصيت الذين تميزت بهما هذه الحركة، وبقيت مقاومتها في كثير من الأحيان مقاومة محلية غير منظمة ومحدودة الفعالية. ولم تنجح في إحداث تغيير حاسم في مسار المواجهة مع قوات الاحتلال.

*أستاذ تاريخ المغرب المعاصر– وباحث في مختبر المغرب والبلدان المتوسطية– جامعة شعيب الدكالي– الجديدة– المغرب.

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

وقد تحكمت في هذا الواقع الذي عاشته حركات المقاومة المغربية عوامل متعددة ساهمت في الحد من فعاليتها منها ما هو مرتبط بطبيعة الزعامات المقاومة وطغيان التنافس وغياب التنسيق بينها وفشل محاولات التعاون والتحالف بين مختلف الحركات أو بين مكونات نفس الحركة بسبب غلبة المصالح الخاصة والقبلية وانشغالها بالصراعات الداخلية. وعوامل أخرى مرتبطة بالنقص الواضح في التسليح والتموين بالإضافة إلى الافتقار للتنظيم والخبرة العسكريين.

أولا: المقاومة المغربية: بين ضعف الإمكانيات والاستغلال الجيد للميدان: نجح المقاومون المغاربة في تعويض النقص الكبير الذي كانوا يعانونه بسبب الافتقار للتسليح الجيد والتنظيم المحكم[1]، عن طريق الاستغلال الذكي للبنية التضاريسية الصعبة لمناطقهم الجبلية، فعمدوا إلى إنشاء تحصينات في المنحدرات والملاجئ الطبيعية كالكهوف مكنتهم من تجنب نيران القوات الفرنسية[2]. يضاف إلى ذلك حماستهم الدينية العالية وتعلقهم الكبير بالحرية ورفض الاحتلال.

كما تميز رجال حركات المقاومة المغربية أيضا بحركيتهم العالية[3] وقدرتهم الكبيرة على الصبر والتحمل[4]. استهدفت عملياتهم النقط الضعيفة في الوحدات العسكرية الفرنسية، مستفيدين من ظلام الليل والظروف المناخية[5]، وغالبا ما كانوا ينقضون على الفرق غير المنظمة أو التي لا تتوفر على حراسة جيدة، ويحاولون في أحيان كثيرة استدراج العدو والتوغل عبر الثغرات الموجودة بين وحداته العسكرية، والمواجهة عن قرب مع قواته والالتحام المباشر معها، وبالتالي فإن نهاية المواجهة غالبا ما تكون دموية تتكبد خلالها القوات الفرنسية خسائر بشرية ومادية كبيرة[6].

ولتعويض الفارق الكبير في التسليح والتنظيم بينها وبين جيش الاحتلال لجأت حركات المقاومة إلى تبني أساليب قتالية متنوعة مثل الكمائن والهجمات المضادة، والإعراض عن الحركات الحاشدة والاستعاضة عنها بمجموعات قليلة العدد سريعة الحركة[7] تتكون من عشرات الأشخاص يتخذون من الكهوف والصخور مخابئ لهم[8]، ويعملون على مباغتة الفرق العسكرية الصغيرة والمعزولة والانقضاض عليها من خلال الشروع في إطلاق كثيف للنيران من مسافات قريبة محدثين فوضى عارمة وسط القوات الفرنسية، ثم يتم استغلال هذه الفوضى للقيام بهجوم متلاحم. وقد يتخذ هذا الكمين حجما كبيرا بشكل مناورة موحدة ومهيأة بشكل جيد[9].

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

ويعتبر عامل المفاجأة أيضا سلاحا مهما استخدمه رجال المقاومة ووظفوه بشكل جيد مكنهم من تحقيق عدة انتصارات رغم قلة أعدادهم وضعف تسليحهم. كما كانوا يستغلون أي خطأ ترتكبه القوات الفرنسية سواء تعلق الأمر بغياب التنسيق بين مختلف الوحدات العسكرية أو انفصال وحدة عن باقي القوات، حيث لم يتركوا الفرصة تمر دون أن ينقضوا عليها بشراسة[10].

أما الهجمات المضادة فكانت تحدث عندما تقوم القوات الفرنسية بالهجوم على التنظيمات الدفاعية لرجال المقاومة، حيث يلجأ هؤلاء إلى الاختباء بذكاء في الملاجئ الطبيعية التي توفرها لهم المنحدرات الجبلية في انتظار مرور الوحدات العسكرية لكي ينقضوا عليها بشكل مفاجئ، ويبدأ هذا الهجوم المضاد في الغالب بإطلاق للنار متبوع بهجوم سريع ومباغت، ثم ينتهي بالتحام مباشر واستخدام مكثف للأسلحة البيضاء وينتهي في دقائق معدودة[11].

ويرجع نجاح هذه الأساليب القتالية لحركات المقاومة إلى خصائص أساسية امتاز بها رجال المقاومة، وتمثلت بالخصوص في سرعة مناوراتهم ونجاحهم في إحداث المفاجأة وحركيتهم العالية، التي تجعلهم يتحركون بشكل مستمر في مجموعات هجومية تضم أقل من 100 رجل تتزايد بنظام حسب مستجدات المواجهة، كما أن دقة طلقاتهم النارية وقوتهم وانتشارهم الجيد يعطون الانطباع بكثرة أعدادهم، يضاف إلى ذلك استغلالهم الذكي للمعطيات التضاريسية التي تمكنهم من الاختباء.[12]

لكن ورغم ما شكلته هذه الظروف الجغرافية والمناخية والأساليب القتالية والحماسة الدينية من امتياز واضح لصالح جماعات المقاومين، ساهمت في تعزيز دينامية المواجهة ضد القوات الفرنسية بمعنويات مرتفعة، استطاعت من خلالها في كثير من الأحيان تجاوز تفوق قوات الاحتلال في الوسائل البشرية والعسكرية، فإن حركات المقاومة لم تنجح في إحداث تغيير كبير وحاسم في ساحة العمليات، وبقيت أنشطتها محدودة الفعالية والتأثير على مخططات القوات الاستعمارية بسبب التفاوت الكبير في الإمكانيات العسكرية والتنظيمية بين القوات الفرنسية المدججة بأحدث وأفتك الأسلحة، والمؤطرة من قبل ضباط يتوفرون على تجربة استعمارية كبيرة ويعتمدون خططا وتكتيكات حربية دقيقة ومدروسة[13]، وبين حركات المقاومة التي تطوع رجالها للدفاع عن أراضيهم بأعداد جد متواضعة وبتسليح ضعيف.

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

فقد اعتمدت القيادة العسكرية الفرنسية في عملياتها بالمغرب على أسلحة حديثة وفتاكة متنوعة مثل الرشاشات والبنادق ذات الطلقات السريعة[14]، كما أن توظيف سلاح المدفعية سواء الخفيفة أو الثقيلة ضمن لها التفوق في مواجهاتها مع جماعات المقاومين، من خلال لجوئها إلى القصف المدفعي المكثف لمواقع تواجد رجال المقاومة وتشتيت تجمعاتهم، وما أحدثه ذلك من رعب وفزع في نفوسهم، فرغم تفوقها العسكري الكبير لم تكن قوات الاحتلال تجرؤ على الدخول في معارك مفتوحة مع رجال المقاومة، وكانت تكتفي عوض ذلك بمواجهتهم بقصف مدفعي وجوي مكثف[15]، لذلك كان أول ما يطالب به رجال المقاومة عند خضوعهم هو وقف القصف المدفعي[16]. لكن سلاح المدفعية كان أحيانا محدود الفعالية في المناطق التي تميزت بطابعها الجبلي، وبوجود خصم يتحرك بخفة عالية، نظرا لصعوبة ربط الاتصالات بسرعة وغياب خرائط دقيقة وعدم إمكانية الاعتماد على معطيات حسابية دقيقة[17]، مما جعل ضربات قطع المدفعية عشوائية وغير مضبوطة وذات تأثير معنوي فقط في بعض الأحيان[18].

ومن جهة أخرى ساهم سلاح الطيران بدوره في ضمان تفوق قوات الاحتلال وحسم المواجهات العسكرية لصالحها[19]، سواء من خلال الضبط الدقيق لطبغرافية المجال، عبر القيام بجولات استطلاعية لالتقاط صور مكنت من رسم خرائط مفصلة للمنطقة[20]، أو من خلال القصف العنيف لأماكن تمركز جماعات المقاومة بهدف تدمير تنظيماتها الدفاعية والمشاركة الفعلية في العمليات عبر القيام بالتغطية الجوية للقوات البرية الزاحفة[21].

وقد شكل التوظيف المكثف لسلاحي المدفعية والطيران في العمليات العسكرية عاملا حاسما، استهدف القضاء على جميع مصادر العيش في إطار خطة سعت النيل من معنويات المقاومين وأسباب صمودهم والتعجيل بخضوعهم[22]، حيث أدت الكميات الهائلة من القنابل والمتفجرات إلى تراجع المقاومين واستسلامهم نتيجة الرعب الذي ألقته في نفوسهم[23]، وساهمت بالتالي في تفكك كتلة المقاومة.

ثانيا: فشل محاولات التنسيق والتعاون: مع انطلاق المخططات الاستعمارية الفرنسية بالمغرب وبدء القوات الفرنسية لتوغلها العسكري واحتكاكها المباشر مع المجتمعات القبلية وتهديدها لمصالحهم الحيوية، اختفت بشكل شبه تام التناقضات القبلية الداخلية، وانتشر شعور

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

عام بضرورة الوحدة والتضامن[24]، وتجاوز حالة الفوضى والانقسامات التي كانت تسود القبائل المغربية[25]، وخفت حدة التوتر بين الزعامات القبلية والدينية التي كثفت من نشاطها السياسي وحملاتها الدعائية وسارعت إلى الدعوة للتكتل والتنسيق لمواجهة هذا الخطر الخارجي المشترك[26]. وهكذا لم تعد القبائل تتنازع فيما بينها حول الأراضي والمراعي والمياه، بل أصبحت تستضيف جيرانها الهاربين من الغزو وتسمح لهم بالمرور والرعي والحرث[27]. وقد استغرب الفرنسيون لهذه الهدنة الشاملة التي عمت جل القبائل المغربية في السنوات الأولى للاحتلال باعتبارها ظاهرة غير مسبوقة في تاريخ المغرب. لكن هذه النزاعات والصراعات القديمة عادت لتظهر من جديد وبشكل أكثر حدة من ذي قبل في الوقت الذي اشتد فيه الحصار واستفحل فيه الغزو، وهي صراعات تبدو في ظاهرها بسبب النزاع حول الأرض والمياه والمراعي، لكنها في حقيقة الأمر خلافات ذات طابع شخصي بين زعماء حركات المقاومة حول السلطة والنفوذ. مما ساهم إلى حد كبير في إضعاف مقاومة هذه الجماعات القبلية وأجهض أية محاولة للتنسيق فيما بينها.

وقد كانت بعض الزعامات المقاومة على وعي بخطورة هذه النزاعات والصراعات بين العشائر والمجموعات القبلية على مستقبل جبهة المقاومة[28]، وقلقة من استغلال الفرنسيين لهذه الوضعية لتسريع غزوهم، حيث دخل بعضها في جولات مكوكية للتقريب بين وجهات النظر وإزالة الأحقاد والضغائن، وتخفيف حدة التوتر وتسوية النزاعات أو على الأقل تأجيلها وتفادي تحولها إلى مواجهات دامية بين مختلف الجماعات القبلية، وسعت جاهدة لجمع كلمتها وتنظيمها عبر القيام بعقد العديد من الاجتماعات لانتخاب زعيم حرب مشترك[29]، لكن محاولات هذه الزعامات المقاومة الهادفة إلى تنسيق أنشطتها وتوحيد جهودها اصطدمت بالطموحات الشخصية للبعض منها، ورغبة البعض الآخر في انتهاز أية فرصة ممكنة لزيادة سلطته وتوسيع نفوذه على حساب باقي الزعماء، فأصبحت ظاهرة التنافس، التي حلت محل التعاون والتحالف، السمة البارزة التي ميزت العلاقات بين زعماء المقاومة. وأدى طغيان هذه الظاهرة وانتشارها بين هذه الزعامات حول تنازع ولاء الجماعات القبلية، إلى دخول حركات المقاومة في دوامة من الصراعات والنزاعات الدموية التي استنزفت الطاقات والإمكانات القبلية البشرية والعسكرية وألحقت بها أضرارا بالغة[30].

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

كما أن هذه المحاولات باءت معظمها بالفشل أيضا بسبب نجاح مصالح الاستعلامات الفرنسية في مراقبة تحركات القبائل المقاومة وضبط أنشطة زعاماتها[31]، وتفكيك وتشتيت تجمعاتهم، بفضل توظيفها الذكي لسلاح الطيران لمنع نجاح محاولات الصلح التي كانت تتم بين هذه الأطراف المتنازعة. وتمكنت بالتالي من إجهاض كل المبادرات الرامية إلى القيام بعمل عسكري مشترك ضد المراكز الفرنسية والقوات المرابطة بها[32]. وانطلاقا من المعلومات التي وفرها العمل الاستخباراتي شرعت القيادة العسكرية الفرنسية في تكثيف نشاطها السياسي[33] داخل هذه المجتمعات القبلية بهدف إذكاء روح التفرقة والنزاعات الشخصية والقبلية[34]. ورغم الصعوبات التي وجدتها في بحثها عن المعلومات الاستخباراتية بهدف تتبع أنشطة وتحركات زعماء حركات المقاومة، حيث تم قتل أعداد مهمة من المخبرين[35]، فإنها نجحت في اختراق جل القبائل المقاومة من خلال بروز تيار داخلها يعلن رغبته في الخضوع والدخول في اتصالات مع الفرنسيين[36].

وعمدت مصالح الاستعلامات الفرنسية أيضا إلى التدخل في مختلف مراحل النزاعات بين القبائل والفخذات المقاومة لإشعالها وتأجيجها بأساليبها السياسية والعسكرية للحيلولة دون حدوث تقارب بين القبائل. وقد كان تدخل قوات الاحتلال لإفشال محاولة الوصول إلى أية مصالحة يتمثل على سبيل المثال لا الحصر في التتبع المستمر لتطورات الأوضاع والتدخل في الوقت المناسب لفض الاجتماعات وتوسيع الهوة بين المواقف، بأن تأمر مثلا أحد عملائها المتواجدين بين هذه الجماعات القبلية باغتيال شخصية قبلية أو دينية أو نهب قطيع، أو التدخل لمساندة التيار الأكثر قابلية للخضوع عن طريق اللجوء مرارا إلى قصف الأسواق وأماكن التجمعات في المناطق التابعة للزعامات المقاومة بشكل مستمر ومكثف بهدف دعم وضعية الزعامات الموالية لها[37]. وقد كانت مثل هذه الإجراءات كافية في كثير من الأحيان لخلق جو من انعدام الثقة وبالتالي نسف جميع المبادرات التي قامت بها هذه الزعامات.

كما أن قسما آخر من هذه الزعامات كان يتحمل المسؤولية في عودة هذه الحالة الفوضوية التي عاشتها هذه القبائل، حيث ساهم بشكل كبير في تفكيك الجبهة الداخلية وإضعاف كتلة المقاومة وتبديد مجهودات المقاومين، عن طريق الدخول في تنافس محموم على

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

السلطة وتنازع النفوذ، مما خلق وضعية من انعدام الثقة وتبادل الاتهامات جعلت كل عشيرة أو جماعة قبلية تنشغل بالدفاع عن مجالها الحيوي وترفض أية محاولة للتنسيق والتحالف بين باقي القوى القبلية.

وشكل طول مدة الحصار الاقتصادي المفروض على هذه المجتمعات القبلية بدوره ومحاولاتها المستمرة لفكه، من خلال البحث المستمر عن الأراضي الزراعية والرعوية ومصادر المياه، عاملا أساسيا من العوامل التي عملت على تأجيج نيران هذه النزاعات والخصومات.

وقد ازداد انشغال القبائل المقاومة بالنزاعات الداخلية والانقسامات القبلية أيضا بسبب الفراغ الكبير الذي أحدثه غياب زعماء حركات المقاومة الكبار أمثال موحا أوحمو الزياني وموحا أوسعيد وسيدي علي امهاوش الذين نجحوا إلى حد كبير في وقف الخصومات والنزاعات الداخلية، واستطاعوا إحداث حالة استنفار دائمة بين جل المكونات القبلية وتوحيد جهودها نحو الخطر الأجنبي المشترك، وتمكنوا من الحفاظ على درجة عالية من التعبئة الروحية والسياسية[38]. فقد شكل غياب هذه الزعامات عن المسرح القبلي ضربة موجعة لمستقبل حركات المقاومة، حيث دخل خلفاؤهم[39] في منافسات وخصومات عمقت التناقضات بين الجماعات القبلية التابعة لهم[40].

أدت هذه الأوضاع القبلية المتسمة بالتفكك والتشتت وانتشار الصراعات والنزاعات القبلية، التي لم توقفها محاولات بعض الزعامات الدينية والقبلية الهادفة إلى رأب الصدع وإعادة توحيد جهود الجماعات المقاومة نحو الخطر الخارجي، إلى دخول هذه الأوساط القبلية المقاومة في مرحلة من التقهقر والتراجع اتسمت بانتشار اليأس وازدياد حالات الخضوع. وبذلك يكون هؤلاء الزعماء ورغم صمودهم ومعاداتهم الواضحة والصلبة للغزو العسكري الفرنسي قد قدموا خدمات مجانية هامة عن غير قصد للمحتل بفعل تنافسهم وصراعاتهم، وتحولوا بذلك إلى أدوات سهلت الغزو العسكري الفرنسي لأراضيهم.

ثالثا: غياب الوعي بالمتغيرات والمستجدات الداخلية والخارجية: اتسمت حركات المقاومة المغربية بضعف التنظيم والتأطير وبقيت حركات محلية ضعيفة معزولة تنشط في رقعة جغرافية محدودة ومشتتة بتشتت القبائل، فكانت مقاومتها في الأغلب مجرد ردات فعل عفوية وتلقائية

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

متفرقة غير متجانسة، تشتد حينًا وتفتر أحيانًا، افتقدت إلى التوجيه الواعي بالتطورات والمتغيرات. فالمغرب لم يعرف مقاومةً منظمةً وموجهةً تساير المستجدات وتتأقلم مع الأوضاع المحيطة. ورغم أن العديد من الزعامات الدينية والقبلية المقاومة كانت تتمتع بشخصية قوية وحضور وازن في الأوساط القبلية، واستطاعت توحيد القبائل المقاومة ضد الغزو العسكري الفرنسي والتغلب على التناقضات القبلية السائدة، والتي غالبا ما أدخلت المنطقة في صراعات دموية طويلة، فإنها لم تكن تملك أدنى خبرة عسكرية مما أثر بشكل سلبي على شكل وطبيعة تصديها للقوات الفرنسية[41].

وقد تجلت بوضوح محدودية وعي زعامات المقاومة بالمستجدات المحيطة وغياب تفاعلها مع التطورات الحاصلة في عدم استغلال الأحداث الطارئة داخليا وخارجيا لتوجيه مسار مواجهتها لقوات الاحتلال بشكل يخدم أهدافها وغاياتها، مثل ظروف الحرب العالمية الأولى ونشاط الدعاية الألمانية في المغرب، وانشغال القيادة العسكرية الفرنسية في المغرب بالحرب الريفية.

1- عدم استغلال ظروف الحرب العالمية الأولى: مباشرة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى تلقى المقيم العام الجنرال ليوطي تعليمات صارمة من الحكومة الفرنسية تطالبه بتقليص الوجود العسكري الفرنسي بالمغرب والاقتصار فقط على الموانىء الهامة مع الانسحاب من جميع المراكز المتقدمة، وإرسال أفضل القوات العسكرية المتواجدة بالمغرب إلى فرنسا للمشاركة في الحرب الأوربية، ورغم التردد الكبير الذي أبداه ليوطي في الاستجابة لتعليمات حكومة بلاده[42]، فقد اضطر إلى إرسال قسم هام من القوات المتواجدة بالمغرب إلى الجبهة الأوربية، وفي ظل هذه الظروف، أصبحت القيادة الفرنسية مجبرة على نهج خطة دفاعية[43] تتفادى من خلالها القيام بعمليات عسكرية كبيرة. وتقتصر فقط على محاولة محاصرة قبائل الأطلس المتوسط عسكريا واقتصاديا، عن طريق تأسيس مجموعة من المراكز العسكرية على حدودها تمكنها من التحكم في الطرق التجارية[44].

لكن ورغم هذه المعطيات التي كانت تساعد رجال المقاومة على التقدم وأخذ المبادرة والقيام بضغط مستمر وكثيف على المراكز العسكرية الفرنسية مستغلة الظروف الصعبة التي كانت تمر منها قوات الاحتلال طيلة فترة الحرب العالمية الأولى، وما تعانيه من ضعف وإنهاك

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

نتيجة سحب أعداد مهمة من قواتها، فإن حركات المقاومة وباستثناء بعض الضربات الموجعة التي ألحقتها بالقوات الفرنسية، لم تستطع استغلال انشغال القادة العسكريين الفرنسيين بالحرب الأوربية لإرغام قواتهم على التراجع والانسحاب[45] والقيام بضغط مستمر على الخطوط الأمامية للقوات الفرنسية، لا سيما وأن خبر اندلاع الحرب في الجبهة الأوربية قد انتشر بسرعة بين مختلف الأوساط القبلية للأطلس المتوسط[46].

وبعد معركة لهري التي انهزم فيها الجيش الفرنسي في نونبر 1914، ازدادت وضعية القوات العسكرية الفرنسية سوءا ولزمت معسكراتها ولم تجرؤ على خوض أية معركة، وانحصر تفكير القيادة العسكرية الفرنسية في تموين قواتها المحاصرة بالمدينة[47]. ورغم الصدى الكبير الذي حققته المعركة، فإن موحا أوحمو الزياني لم يستثمر هذا النصر بالتوجه إلى خنيفرة واسترجاعها وإرغام الفرنسيين على الانسحاب من الأطلس المتوسط باستغلال تلك الذخيرة والأسلحة المتنوعة من الرشاشات والمدافع التي غنمها، بل أخذ يتنقل من قبيلة إلى أخرى عارضا هذا العتاد، وموجها النداء إلى الجنود الهاربين من الجيش للالتحاق به، فمنح الفرنسيين فرصة كي ينظموا صفوفهم. "فلو تقدمت جماعات المقاومة نحو خنيفرة وراء بقية قواتنا واقتحموا المركز لكانت كارثة ومجزرة حقيقية ولاستولوا على عدد كبير من العتاد والمؤونة"[48].

وقد استغلت قوات الاحتلال واقع حركات المقاومة المتسم بالتردد والسلبية وغياب التنسيق، ونجحت في ظل الظروف الصعبة التي كانت تمر منها من إحكام سيطرتها على المناطق السهلية ومنطقة الدير المحاذية لجبال الأطلس المتوسط، ونجحت أيضا بقوات محدودة في تطويق حركات المقاومة وتضييق الخناق عليها. وهكذا فإن الاحتلال العسكري لدير الأطلس المتوسط ورغم ظروف الحرب ستتم المحافظة على احتلاله بل وتدعيمه، حيث عمدت القيادة العسكرية الفرنسية إلى تفكيك جبهة المقاومة وتثبيت القبائل المقاومة في مواقعها باعتماد الوسائل السياسية[49] بغية خلق الانشقاقات في صفوفها واستمالة العناصر الفاعلة فيها[50] في انتظار انتهاء الحرب الأوربية ووصول الإمدادات العسكرية.

2- **عدم الاستفادة من المحاولات الألمانية التركية لدعم حركات المقاومة:** عانت قوات الاحتلال طيلة فترة الحرب العالمية الأولى من اشتداد نشاط الدعاية الألمانية بالمغرب، حيث

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

تحول المغرب مباشرة بعد اندلاع الحرب إلى مسرح لمخطط ألماني تنظم بموجبه حملة دعائية وتحريضية ضد نظام الحماية، لإثارة الاضطرابات في كل شمال إفريقيا. كما نسج الألمان والأتراك اتصالات وثيقة مع زعماء حركات المقاومة المغربية، وقدموا لهم الدعم المادي والمعنوي بغية تنسيق جهودهم والقيام بثورة عامة في المغرب ضد الفرنسيين[51]. وقد ارتكز هذا المخطط على توثيق الاتصال بهذه الزعامات وحثها على تحقيق المصالحة بين القبائل والعشائر المقاومة المختلفة، لإيجاد جو من الوحدة والتنسيق[52]، وتشجيعها على انتخاب شيوخ قادرين على تعبئة هذه الجماعات المقاومة وتنظيمها لشن هجمات شاملة وواسعة في الوقت المناسب[53]. وقد كان المشروع الألماني التركي الهادف إلى اندلاع ثورة عامة في مختلف مناطق المغرب والتأثير سلبا على المجهود الحربي الفرنسي في الجبهة الأوربية، مشروعا موسعا تلتقي خيوطه عند هيأة أركان يرأسها ويمولها الألمان[54] بمشاركة ضباط أتراك سبق لهم أن عملوا بالمغرب بالتنسيق مع المولى عبد الحفيظ. وبحسب التقارير العسكرية الفرنسية، فقد حصل موحا أوسعيد على مساعدات مالية ألمانية تقدر بحوالى 800 ألف فرنك فرنسي، في حين حصل سيدي رحو على 500 ألف فرنك فرنسي[55]، ورصدت مصالح الاستعلامات الفرنسية وجود أوراق مالية في الأسواق من فئة 500 و1000 فرنك فرنسي[56].

لكن، على الرغم من قوة الدعاية الألمانية – التركية ووصولها إلى زعماء حركات المقاومة المغربية ودعمهم ماديًا ومعنويًا لتنسيق جهدهم وإطلاق ثورة عامة في المغرب ضد القوات الفرنسية والتأثير سلبا على المجهود الحربي الفرنسي في الجبهة الأوربية، وعلى الرغم من اشتداد نشاط حركات المقاومة المغربية خلال هذه الفترة وتكثيفها عملياتها ضد المراكز العسكرية الفرنسية، يبقى التساؤل الآتي مطروحًا: لماذا لم يستفد زعماء حركات المقاومة المغربية وقادتها من الدعم الألماني– التركي لتنظيم رجالهم وتأطيرهم في سبيل قيادة حرب تحريرية شاملة، مستغلين اندلاع الحرب العالمية الأولى وعجز الحكومة الفرنسية عن تقديم الدعم لقواتها في المغرب التي تقلص عددها كثيرًا وصارت تتفادى الدخول في أي اشتباك أو مواجهة مع حركات المقاومة؟

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

3- انشغال المؤسسة العسكرية الفرنسية بأحداث الريف: عرقلت أحداث الريف الغزو العسكري الفرنسي لباقي التراب المغربي طيلة سنتي 1924م–1925م، وفرضت على قادة جيش الاحتلال وقف عملياتهم والاقتصار على مراقبة تحركات جماعات المقاومة[57]، فقد أشارت التقارير الشهرية للحماية الفرنسية[58] إلى توصل جماعات المقاومة في كل من بقعة تازة والأطلس المتوسط وتافيلالت بأهم المستجدات الميدانية التي كانت تشهدها الجبهة الشمالية[59]، حيث رصدت مصالح الاستعلامات الفرنسية العديد من المبعوثين الريفيين في هذه المناطق[60]، مما يفسر . حسب الفرنسيين . التواصل الموجود بين زعيم الحركة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي وباقي زعماء حركات المقاومة المغربية، لحثهم على عقد اجتماعات لأعيان القبائل للتشاور في إمكانية توحيد جهودهم بهدف الاتفاق على عمل عسكري مشترك[61].

كما أشار العسكريون الفرنسيون إلى محاولة زعماء حركات المقاومة تنظيم قبائلهم وتنسيق مجهوداتهم منذ توصلهم بهذه المراسلات التي تمت تلاوتها في مختلف أسواق المناطق المقاومة[62]. وقد كانت قوات الاحتلال واعية بضرورة توخي أقصى درجات اليقظة والحذر لمواجهة الخطورة التي تشكلها الدعاية الريفية[63]، غير أن زعامات المقاومة لم تستغل هذه الظروف الاستثنائية التي أحدثتها حرب الريف، حيث أشارت مصالح الاستعلامات الفرنسية التي كانت تراقب تطورات الوضع عن كثب وتتابع محاولات هذه الزعامات لتنسيق جهودها، إلى فشل هؤلاء الزعماء في ترجمة هذا الحراك الذي أحدثته المراسلات الريفية إلى تهديد جدي[64]، حيث اقتصر نشاطهم مثلا على عقد العديد من التجمعات في محاولات لتحقيق وحدة وتماسك مختلف جماعات المقاومة، عن طريق تحقيق الصلح بين الصفوف المتنازعة، والإشراف على انتخاب وتعيين شيوخ الحرب وتنسيق عمليات شراء الأسلحة والدخائر[65].

غير أن العامل الذي جعل السلطات الفرنسية واثقة من أن التطورات الميدانية سوف لن تتجه نحو التنسيق والتوحد بين زعماء حركات المقاومة، هو تجدد النزاعات القبلية بتحريض من بعض الزعامات المتنافسة، مما جعل كل محاولة للقيام بعمل عسكري مشترك صعبة إن لم نقل مستحيلة[66]. ففي منطقة وادي العبيد مثلا اصطدمت محاولات الزعيم سيدي الحسين أوتمكا لتجاوز حالة التفرقة والانقسام التي كانت تعيشها مختلف القبائل بالنوايا السيئة والحسابات

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

الضيقة لباقي الزعامات الدرقاوية، وخصوصا أولاد سيدي علي أمهاوش وسيدي عبد المالك بن الطيبي الذين كانوا يخشون من تزايد نفوذ منافسهم على حساب مصالحهم، مما جعل قبائل المنطقة تتوزع بين ولاءات وتأثيرات متعددة[67].

رابعا: شيوع مواقف المهادنة والمسالمة: مع انطلاق المخططات الاستعمارية الفرنسية في المغرب كانت الزوايا تمثل أهم تنظيم سياسي وديني يتمتع بنفوذ كبير وقاعدة شعبية عريضة، وبالتالي كانت هي المؤسسات الوحيدة إلى جانب المؤسسة المخزنية والقوى القبلية القادرة على تأطير القوة البشرية الهامة التي كانت تتوفر عليها وتنظيمها لإعلان الجهاد والتصدي للقوات الاستعمارية.

لكن وبعد نجاح الفرنسيين في استمالة المؤسسة المخزنية إلى جانبهم، لم يبق في المغرب من يرعى المقاومة وينظمها سوى القوى القبلية وشيوخ الزوايا لأنهم كانوا يتمتعون بمكانة خاصة وقدرة على التأطير والإقناع والتعبئة مما جعلهم مؤهلين للتدخل في وقت التهديد الخارجي.

غير أن الغزو العسكري الفرنسي وضع النخب المغربية وخاصة زعماء الزوايا والطرق الصوفية أمام إشكالية معقدة ساهمت في ظهور جدل كبير بينهم أدى إلى بروز انقسام واضح بين هذه الزعامات الروحية والقبلية، بين من رأى أن ظروف وشروط الجهاد غير متوفرة معتبرا دعاة الجهاد مجرد مثيرين للفتنة وخارجين عن الشرع والحكمة مادام أن الجهاد لا بد أن يكون تحت راية السلطان وبأمره، وهذا الأمر ينطبق على الزاوية الوزانية والناصرية والشرقاوية والزاوية الدرقاوية الأم، وبين الزعامات الصوفية الدرقاوية التي رأت في الغزو الاستعماري غزوا نصرانيا مسيحيا وانتهاكا لأرض الإسلام من طرف "الكفار" الذين لا بد من إعلان الجهاد للتصدي لهم والوقوف في وجههم، فنظمت الجهاد وأعلنت التعبئة وأطرت المجاهدين للوقوف في وجه الغزو الفرنسي بإمكانات محدودة لم تكن كافية لعرقلة تقدمه، لأنها كانت مضطرة لتبني المقاومة وإعلان الجهاد في غياب مؤسسات مركزية فاعتمدت على وسائلها الخاصة وإمكانياتها الذاتية. ورغم محدودية هذا النشاط الجهادي، فإنه أوضح بأن هؤلاء الشيوخ الدرقاويون والبوعزاويون وغيرهم قد بذلوا ما في وسعهم وقدموا تضحيات كبيرة، وهو ما يعد في حد ذاته أمرا بالغ الأهمية، في وقت كان الموقف العام للزوايا والطرق الصوفية المغربية يتسم بالسلبية والركون إلى

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

المسالمة والمهادنة إزاء دخول الاستعمار الفرنسي وتسهيل مأموريته وتكريس نفوذها لخدمة مخططاته، بدافع الطمع في الامتيازات ونيل المكانة والحظوة وتوسيع نفوذها المادي والمعنوي، وهو موقف ساهم في تسهيل مهمة قوات الاحتلال والتسريع بوتيرة غزوها من جهة، وحال دون فتح جبهات أخرى كانت سترغمها على تشتيت قواتها.

ويبدو من مواقف هذه الزعامات الصوفية أنها كانت مدفوعة بدافع الحرص على صيانة مصالحها المادية والروحية، والطمع في الامتيازات ونيل المكانة والحظوة تدعيما وتوسيعا لنفوذها المادي والمعنوي. كما أن التبريرات التي قدمتها هذه الزعامات لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تخفي الدوافع الحقيقية لمواقف هذه الزوايا والنابعة أصلا من رغبتها في حماية مصالحها من ضغوطات وإجراءات الوجود الفرنسي، خاصة وأن هذه الزوايا كانت عبارة عن مؤسسات "إقطاعية" تتوفر على أراضي وعقارات ومداخيل مالية مهمة[68]، فهي زوايا حضرية جل مريديها من بورجوازية المدن الكبرى والمتوسطة التي كانت مصالحها مهددة مباشرة بإجراءات السلطات الفرنسية التي سعت إلى تجريدهم أو على الأقل مزاحمتهم في أدوارهم المختلفة التي كانوا يقومون بها ويؤدونها، مما جعلهم يذعنون تباعا وخصوصا الذين كانت لهم مصالح أكبر[69].

وأيا كانت الأسباب الكامنة وراء هذا الموقف، فإن هذه الزعامات الدينية قد تحولت إلى أدوات سهلت عمليات التغلغل الاستعماري الفرنسي في المغرب وخففت من العداء الذي ووجهت به القوات الفرنسية من طرف القبائل المغربية، مما كان له كبير الأثر على وحدة وتماسك المقاومة، التي وإن كانت قد حققت بعض الانتصارات الجزئية فإنها لم تتمكن من الاستمرارية.

خاتمة: رغم الصمود الذي أبدته حركات المقاومة المغربية والتضحيات التي بذلها رجالها ومعاداة زعاماتها الواضحة للقوات الفرنسية، فإنها في المقابل قدمت خدمات للفرنسيين بسبب انشغالها بالصراعات الداخلية وتصفية الحسابات والانجرار إلى الانتقام، وغياب التعاون بينها وطغيان المصالح الخاصة، إضافة إلى التنافس الشديد الذي شكل السمة البارزة التي ميزت العلاقات بين هذه الزعامات الدينية والقبلية، والذي وصل أحيانا حد الصراع واستنزاف طاقات حركات المقاومة وإمكانياتها العسكرية والبشرية. وقد أثر هذا الواقع بشكل سلبي على المقاومة التي

ردمد ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

عانت من ضعف التأطير ومحدودية الأفق النضالي والسياسي وبقيت مقاومة محلية معزولة تنشط في رقعة جغرافية محدودة، ضعيفة التنظيم ومحدودة الفعالية، طغى عليها طابع العفوية، وحال دون نجاحها في إحداث تغيير حاسم لصالحها.

الهوامش:

1 - Fabre col, La tactique au Maroc, Paris , charles la vauzelle, Paris, 1931, p.24.--2- Damidaux Cap, Une attaque de nuit au Maroc, R.M.F, 96emeAnnée, N055, Janvier 1926, p.79.--- 3-Bessnard G, Le Combat offensif du bataillon type marocain, L'Armée d'Afrique, 6emeAnnée, N052, Février 1929 p.3.---4 - Fabre col, La tactique au Maroc, op.cit, p.24.---5 -Ibid, p.25.---6 - Ibidem.--- Boisboissel Lieut-Col, Les Opérations Au Maroc II, R.M.F, 100eme Année, N0108, Juin 1930, p.162.

7- محمد بوكبوط، المقاومة ببادية تافيلالت 1934 - 1900 ، ندوة تاريخ الاستعمار والمقاومة بالبادية المغربية خلال القرن العشرين، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2010، ص33.

8 - Armengaud G et Donnio C, La pacification de l'Afrique encore insoumise, R.M.F, N0 97, juillet 1929, p.103.---9 -Ibid, p.27.---10 -Bessnard G, op.cit, p.49.--11 -Fabre col, La tactique au Maroc, op.cit, p.27.---12 -Ibid, p.29.

13 - للاطلاع على خطط وتكتيكات القوات العسكرية الفرنسية بالمغرب يمكن الرجوع إلى:

- بوزويتة سمير، الاحتلال العسكري الفرنسي للمغرب دراسة في الاستراتيجية العسكرية 1912-1934، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة كنابرانت، الرباط، 2007، ص.69.--14– خلافا للخطابات الرسمية القائلة باعتماد القوات الفرنسية لأساليب حضارية في غزوها للمغرب مثل سياسة الاتصال المباشر والابتسامة وبقعة الزيت وإظهار القوة لتفادي استعمالها، فإن الواقع يبين عكس ذلك، فقد ارتكزت في عملياتها على وسائل وأساليب عسكرية أكثر فتكا وقساوة، انظر:

- Rivet Daniel, Lyautey et l'institution du Protectorat français au Maroc (1912-1925) tome II, l'Harmattan, Paris, 1988, p.71.

15– وفي هذا الإطار يقول جورج بوردون: " خلال كل لقاء نشاهد "العدو" يؤخذ ويشطب من مسافة بعيدة بواسطة قتال شديد واستهلاك غريب للذخائر"، انظر:

- الخديمي علال، بعض مميزات المقاومة المغربية للاحتلال الفرنسي للشاوية وجبال الأطلس1907–1934، ندوة المقاومة المسلحة المغربية 1900–1934، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، نونبر 1990، ص90–91.

- وقد أثار لجوء القوات الفرنسية إلى هذا القصف الكثيف والعشوائي والاستعمال المفرط لقوة النيران موجة من الانتقادات في الأوساط الفرنسية باعتبار هذه التصرفات لا تليق بجيش من المفروض أنه يمثل دولة متحضرة في مواجهة مقاومة شعبية ذات تسليح بسيط، إلا أن القيادة العسكرية اعتبرت ذلك"ضروريا لأن المقاومين المغاربة يتميزون بالحركية ومتاعب المواجهة المباشرة، فبالرغم من قوة أسلحة جيش الاحتلال فهي لا توازن خفتهم"، انظر:

– الخديمي علال، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1884– 1910 حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، إفريقيا الشرق 1991، ص48.

16 - Rivet Daniel, op.cit, p.71.---17- Dosse G, Six Mois De Campagne Au Maroc En 1925, R.M.F, 96eme Année, Avril Juin 1926, p.36.---18- Ibid, p.37.

19 – تأسس سلاح الطيران في فبراير 1912 برئاسة القبطان Clavenad، وكان يضم أربع طائرات، وتم تنفيذ القصف الجوي لأول مرة خلال عمليات مابخان في تادلة، انظر:

- Guy de Montjou Cap, L'aviation au Maroc, R.F.M, N07, juillet 1917, p.26.--20 - Boisboissel Lieut-Col, Les Opérations Au Maroc , op.cit, p.169.-- - Guy de Montjou Cap, op.cit, p.27.
- Théveney G, Souvenirs de L'epopée Marocaine, B.S.G.A.A, 1er trimestre, №133, 1933, p.3.

ردمد ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: 2014– 1156 Depot Légal

21- Boisboissel Lieut-Col, Les Opérations Au Maroc , op.cit, p.169.

22 – تحدث الصحفي الفرنسي Gustave Babin الذي عاين العمليات العسكرية في المناطق المجاورة لصفرو عن لجوء القوات الفرنسية" إلى تبني سياسة الأرض المحروقة بهدف إرغام رجال المقاومة على الاستسلام، حيث كانت تعمد إلى تدمير الدواوير والقرى باستخدام احدث أنواع المتفجرات وإحراق المنازل والمحاصيل الزراعية...ففي أقل من أسبوعين أقدمت على إحراق وتدمير أكثر من 14 قصبة ودوار"، انظر:

- Babin Gustave, Au Maroc par les camps et par les villes, Editeur Bernard Granet, Paris 1912, p.219.

23 – خلال العمليات التي قادها الجنرال Poeymirau في أبريل 1922 في أعالي ملوية قامت ثلاثة أسراب من سلاح الطيران الفرنسي بحوالي 293 طلعة جوية ألقت خلالها ما يناهز 30 طن من المتفجرات والقنابل وقتلت 160 من رجال المقاومة وحوالي 500 رأس من الماشية، انظر:

- Rivet Daniel, op.cit, p.72.

24– كانت منطقة الأطلس المتوسط تعيش في دوامة من الصراعات والنزاعات القبلية إلى درجة كانت تبدو معها كل محاولات الصلح ورأب الصدع بين الأطراف المتصارعة بعيدة المنال، حيث تشير مختلف المصادر أن العلاقة بين الزعيم الزياني موحى أوحمو والزعيم الدرقاوي سيدي علي أمهاوش كانت جد متوترة وأحيانا دموية، فقد خاض الزعيمان حروبا شرسة غالبا ما انتهت بدمار كبير وخسائر بشرية جسيمة بين الطرفين، ففي سنة 1908م التمس سيدي علي أمهاوش من موحا أوحمو المشاركة في حركته لمساعدة أهالي الجنوب الشرقي، لكن رفض هذا الأخير أغضب سيدي علي أمهاوش الذي حمل الزعيم الزياني المسؤولية الكاملة في الهزيمة التي لحقت بالمسلمين، فكانت النتيجة أن انتقلت هذه الحرب الكلامية بين الطرفين إلى مواجهات مفتوحة. وتعد معركة 1909م قرب أزرونايت لحسن من أعنف وأشهر هذه المواجهات العسكرية التي وقعت بين الطرفين، والتي انتهت بمصرع خيرة الرجال من الجانبين. لكن ومع بدء القوات الفرنسية لتوغلها في جبال الأطلس المتوسط خفت حدة التوتر بين الزعيمين وساد بين شعور عام بضرورة التعاون لمواجهة هذا الخطر الخارجي المشترك، راجع بهذا الخصوص:

Drague G, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, peyronnet, Paris, 1951, p154.---Le Glay Maurice, Les Chefs de la résistance berbère, R.F.M, №1, janvier 1915, p110.--25 - Guennoun S, Choses du Moyen Atlas, Pacification du Pays Aït Oumalou, Publication du Comité de l'Afrique française, TVIII, Paris 1929, p.26.

26 – لم ينتظر سيدي علي أمهاوش توغل القوات الفرنسية في تراب قبيلته واختراقها لمجالها الحيوي للقيام بتعبئة أوساطه القبلية وتنظيمها، بل نهض فورا للتصدي لها وإيقاف زحفها خارج مناطق نفوذه رغم ما تميزت به من تفوق عسكري وما خلفه ذلك من تضحيات ومعاناة، فمباشرة بعد توصله بأنباء التوغل العسكري الفرنسي في الجنوب الشرقي المغربي وخاصة في منطقة بوذنيب ، ضاعف من نداءاته للجهاد في المناطق التابعة له ونجح في تعبئة حوالي 200 فارس و300 من المشاة وقصد المنطقة سنة 1908 لمساندة قبائلها في مواجهة الغزو العسكري الفرنسي، راجع بهذا الخصوص:

- Guennoun S, op.cit, p.41.

27 – مع انطلاق التوغل العسكري الفرنسي في الشاوية هب العديد من زعماء المقاومة لملاقاة قوات الاحتلال، حيث ضمت المقاومة في المنطقة مقاومين من القبائل المجاورة للشاوية مثل دكالة والرحامنة وزعير وتادلا ومن جهات بعيدة مثل جبال الأطلس وتافيلالت، انظر :

– الخديمي علال، نظرات حول الاحتلال والمقاومة في السهول الساحلية والهضاب الوسطى، ندوة تاريخ الاستعمار والمقاومة بالبادية المغربية خلال القرن العشرين، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2010، ص40.-- 28 – انشغل سيدي علي أمهاوش كزعيم صوفي وقبلي بالعمل على وقف النزاعات الداخلية، واستنفذ جل طاقاته ومجهوداته في محاولات مستمرة لتحقيق الصلح بين مختلف الفخذات والقبائل المتنازعة، والعمل على تجاوز خلافاتها المحلية، وإخماد الصراعات والنزاعات بين قبائل إيشقرن وزيان وبني مكيلد التي عادت لتشتعل من جديد والتي كانت تؤججها تدخلات الاستعلامات الفرنسية بواسطة العديد من المخبرين والعملاء بهدف تخريب الجبهة الداخلية للجماعات المقاومة وتفكيك نظامها المحلي، والحيلولة دون أي تكتل للمكونات القبلية وخلق الأرضية الخصبة لنشاط الجناح المناهض للمقاومة والموالي للمستعمر. وإدراكا منه للخطورة التي يشكلها الخاضعون والموالون للإدارة الاستعمارية باعتبارهم عاملا أساسيا

ردمد ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: 2014– 1156 Depot Légal

لتسهيل اختراق قوات الاحتلال وغزوها، عمد سيدي علي أمهاوش إلى شن حملات انتقامية واسعة ضدهم لإرغامهم على وقف اتصالاتهم مع قوات الاحتلال، انظر:

- Henrys G, Rapport sur les opérations en pays Zaian du début jusqu'au 20 juin, R.G, Rabat, 1914, op, p1.-- R.M.P. Mars. 1918, p13--- R.M.P. Oct. 1916, p3.--- R.M.P. Février 1917, p6.
29 -R.M.E.P, September1929, p.2.---30- Drouin Jeannine, un cycle hagiographique orale dans le moyen Atlas, imprimerie nationale, Paris, 1975, p.138.---31- R.M.E.P, septembre 1929, p.2.
32 - Ibidem.

33– بوزويتة سمير، مرجع سابق، ص50.

34 - Ibid, p.3.---35 - R.M.E.P, septembre1929, p.1.---36- R.M.E.P, octobre 1924, p.3.---37- L'Armée d'Afrique, №52, Février 1929, pp.62-63.

– كما جرت يوم 15 شتنبر 1929م محاولة للصلح بين سيدي محمد بن الطيبي وسيدي الحسين أوتمكا، لكن سلاح الطيران الفرنسي تمكن من إجهاض هذه المحاولة في المهد بعدما قام بقصف أماكن تجمع هذه الجماعات القبلية المقاومة وتشتيتها وإلغاء جهودها، انظر:

-R.M.P, septembre 1929, pp.2-3.--38 - R.M.P. Mai 1918, p.10.

39– إذا كان ظهور هذا الكم الهائل من الزعامات الدينية والقبلية في هذه الفترة قد اعتبر عاملا إيجابيا ساعد على وجود تعبئة دينية وسياسية قوية ومكثفة ساهمت إلى حد كبير في إطالة أمد صمود هذه المجموعات القبلية المقاومة، فإنه في المقابل خلق جوا من التنافس بين هذه الزعامات وصل كما رأينا سابقا إلى درجة القطيعة وأثر بشكل سلبي على مردودية المقاومين وأدائهم، انظر: – عياش جرمان، أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص 59.

40- R.M.P. juin 1918, p.11.

41– ينطبق الأمر على الزعامات الدينة والصوفية التي تبنت المقاومة، فمثلا قاد مولاي أحمد أولحسن السبعي في الجنوب الشرقي المغربي الحركات الجهادية كشيخ زاوية وزعيم ديني وحربي، غير أن خططه الحربية كانت عن تقوم على شعارات دينية حماسية لتقوية روح الجهاد والاستبسال لدى قواته التي لم تكن سوى كتل بشرية عفوية من رجال القبائل بسلاح ضعيف وتجهيز سيء بدون خطط ولا قيادة فعالة. إن المشاركة الواسعة للقوى القبلية والحماس الشعبي والتعبئة الدينية والروحية، عوامل لا تكفي وحدها لتعويض النقص في التسليح وغياب الفعالية والانضباط والتنظيم المحكم. وباختصار كان بإمكان هذه الحشود المحمسة والمعبأة بشكل جيد في ظل غياب الإمكانيات العسكرية أن تتسبب في بعض القتلى والجرحى في صفوف العدو، ولكنها لم تكن تستطيع بالتأكيد هزمه ووقف تقدمه. وبصفة عامة لقد انطبق على الشيخ مولاي أحمد أولحسن السبعي وعلى غيره من شيوخ الزوايا الذين تزعموا حركات المقاومة المثل القائل زعماء جيدون لكنهم جنرالات سيؤون، انظر:

- Julien Charles André, Le Maroc face aux impérialismes (1415-1956), Paris, 1978, p.50.
- Barrère J Lt-Colonel , L'odyssée des Ait Hammou, Revue Historique de L'armée, № 3, 8eme Année, septembre 1952, p.190.

– روس إ.دان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي: المواجهة المغربية للامبريالية الفرنسية 1881–1912، ترجمة أحمد أبو حسن، منشورات زاوية، الرباط، 2006، ص235.-- 42– أصبح ليوطي أمام هذه التعليمات الحكومية الصارمة محتارا بين رغبته الأكيدة في تقديم المساعدة لحكومة بلاده وتزويدها بالقوات العسكرية المتوفرة وبالتالي المجازفة بالجلاء عن المراكز العسكرية الفرنسية والانسحاب من الجبهات الأمامية المشتعلة خاصة جبهتي تازة وتادلة، وبين شعوره العميق بالمسؤولية عن خطورة مثل هذه الإجراءات، لكن رغبته الشديدة في الاحتفاظ بالمغرب جعلته لا يستجيب لتعليمات حكومة بلاده لذلك اتهم بكونه لا يريد التخلي عن طموح شخصي بالاحتفاظ بالمناطق الخاضعة بالمغرب، وقد اعتبر ليوطي السبيل الوحيد لتزويد بلاده بأكبر عدد من القوات العسكرية لا يكمن في إخلاء الجبهات الداخلية واللجوء إلى السواحل وإنما العكس أي العمل على سحب كل الوحدات العسكرية المتواجدة بالمناطق الساحلية وتوجيهها نحو المناطق الداخلية لدعم المراكز العسكرية الفرنسية وإنشاء جدار دفاعي متحرك للحيلولة دون تسرب الجماعات المقاومة إلى السواحل، فالقوات العسكرية الفرنسية توجد في حالة حرب ضد خصوم عنيدين سيعتبرون أي تراجع أو انسحاب إقرارا بالضعف والعجز سيزيدهم ثقة وحماسا، وهو ما سيعرض مستقبل التواجد العسكري الفرنسي بالمغرب للخطر. وقد نجح ليوطي إلى حد بعيد في هذه السياسة التي تبناها والمتمثلة في دعم حكومة بلاده بالقوات

ردمد ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: 2014– 1156 Depot Légal

العسكرية مع الاحتفاظ بالمغرب في الوقت نفسه، حيث بلغت أعداد القوات العسكرية التي أرسلها إلى المتربول حوالي 37 كتيبة عسكرية من مجموع 64 كتيبة متواجدة بالمغرب، انظر:

- El Bekraoui Mohamed, Le Maroc et la première guerre Mondiale(1914-1920), Thèse de doctorat d'état, Aix-En Provence, 1987,p.131.- R.M.P, Aout, 1914, p.2.- Lyautey Pierre, Lyautey L'Africain, Texte et lettres du maréchal Lyautey, TII, 1913-1915, Librairie Plan, Paris, 1956, p.242-243-244.
- Barthou Louis, La Bataille du Maroc, Librairie ancienne honoré champion, Paris 1919, p.21-24.

43- Rivet Daniel,op.cit, p59.---44- B.C.A.F. N°7, Juillet 1915, p.169.

45 – حاول المقيم العام ليوطي بكل الوسائل إبعاد المغاربة عن الاهتمام بالحرب العالمية الأولى ومنعهم من معرفة مستجداتها وتطوراتها، وذلك من خلال التظاهر بعدم الاكتراث بما يجري في الجبهة الأوربية وتبني سياسة المعارض والأوراش الكبرى التي تعطي الانطباع بالثقة، ولتعويض النقص الكبير في أعداد القوات العسكرية الفرنسية المغرب عمد ليوطي إلى جعل وحداته العسكرية في حالة استنفار قصوى للتأثير على جماعات المقاومين، انظر:

- Rivet Daniel ,op.cit, p.20.--46- Guillaume A, op.cit, p.166.47--- - Pichon Jean, El Herri, Charles la Vauzelle, Paris, 1936, p.50.---48 - Guillaume A, op.cit, p.158.

49- – بوزويتة سمير، مرجع سابق، ص50.

50 - RMP Juin 1918 p11

51– من المؤكد أن عددًا من الضباط الأتراك، أمثال الكولونيل طاهر ورمزي ونوري وغيرهم، حاولوا ربط اتصالات مع زعماء حركات المقاومة المغربية انطلاقًا من المنطقة الشمالية للمغرب، انظر:

-Mohamed Bekraoui, op.cit, p85.--52- Ibid, p. 87.---53- Rapport mensuel du protectorat, Rabat, La Direction du service des renseignements, Février 1918), p. 1, et Janvier 1918, p. 3.--- 54 - Le chatelier, Alfred, La Genèse de notre victoire marocaine, 1855-1929, Ed Dumod Paris, 1931, p.309.---55- Rapport mensuel du protectorat: Mars 1917, p. 3, et Février 1917, p. 2.---56- Rapport mensuel du protectorat, Janvier 1918, p. 3.---57- Voinot Louis, Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc, Charles-Lavauzelle, 193, p. 360.---58- R.M.E.P, Avril 1925, p.9.---59 - Ibidem.---60 - Ibidem.---61 - R.M.E.P, Avril 1925, p.9.---62 - R.M.E.P, Mai-Juin 1925, p.10.---63 - Ibidem.---64- R.M.E.P, Avril 1925, p.9.---65 - Ibid, p10.---66 - R.M.E.P, Mai-Juin 1925, p.10.---67 - Ibid, p.11.

68 –بنطالب علي، الزاوية والحزب العلاقة الجبائية، المناهل، الجزء الأول، العدد80–81، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2007، ص 186.

69–يرجع جورج دراك المواقف المتباينة للزوايا المغربية من الغزو الاستعماري إلى اختلاف مصالح النخب السياسية والدينية المسيرة لهذه المؤسسات الضخمة حسب مناطق تواجدها، فقد "تبنت الزوايا التي تتواجد في المناطق المنبسطة سياسة إيجابية إزاءنا، في حين قاومتنا الزوايا التي تتواجد في المناطق الجبلية وأعلنت الجهاد ضدنا..."،انظر:

- Drague George, op.cit, p.84.